



إواليات المنهج السيميائي والنموذج الإبداعي العربي
قراءة في الأنساق المضمرة للخطابات البعدية في شعر المتنبي
Principles of the semiotic approach and the Arabic creative model
A reading of the implicit patterns of the dimensional discourses in Al-Mutanabbi's poetry

حمدية زدام*، جامعة تلمسان، الجزائر. البريد الإلكتروني: hamdiazeddam6@gmail.com

تاريخ المقال

النشر: 2024-12-26

القبول: 2024-04-27

الإرسال: 2024 /02 /06

ملخص البحث

الكلمات المفتاحية

المنهج السيميائي
النسق المضمّر
الإنتاج الدلالي
تقويض المعنى

يستند الخطاب النقدي العربي في كثير من آلياته إلى المنهج السيميائي، الذي نستقرئ من خلاله العديد من الخصائص والقيم التي تتفق والنص الإبداعي العربي. بدءا من الأنساق اللغوية الضمنية، وما تحيل عليه من خطابات بعدية، متفتحة على آفاق من الإيحاء والتأويل في خضم شبكة من العلاقات اللغوية، وفي حضور الأطر المرجعية الثقافية، المساعدة على تفكيك الشفرات الدلالية، وتوضيح الملامسات التأويلية، حتى أننا يمكن وصفه باللغة الواصفة لعالم المعاني وثواني المعاني، الثاوية بين ثنايا النص، بوصفه نسقا مفتوحا وإبداعا متجددا. وهو من أبرز الآليات في التعامل مع النص الإبداعي، وفي مواجهة ما استكن واستر عن التناول بألفاظ يتجاوزها المنطق حينها، وسليقة العقل أحيانا، إنه الإجراء الذي يعمل على تفتيق أسوار البنية التأسيسية، لتتدفق سيورتها الدلائلية وفق نظام تبادلي، يفتح السبيل إلى طرح افتراضات تصورية جديدة، وتأملات استنباطية، مشكلة أنساقا من العوالم التخيلية، والآفاق الإيحائية.

وتتمحور إشكالية البحث حول مدى نجاعة الإواليات السيميائية في استنطاق خبايا النص ومدى ملاءمته في تقويض المعاني، وظلال المعاني للأنساق اللغوية المضمرة. ويهدف بحثنا إلى إعطاء أهمية للمنهج السيميائي كآلية نموذجية في إظهار القدرة على توليد الدلالة وإثرائها، ببث حركية إنمائية على مستوى النسق اللغوي، وإثارة أبعاد قرائية ممتدة على آفاق من التأويل تتخطى حدود الثبات، وتتوهج بشبكات معرفية مشحونة بطاقات إيحائية ممتدة في ذات المتلقي.

Abstract

The Arabic critical discourse is based in many of its mechanisms on the semiotic approach, through which we extrapolate many characteristics and values that are consistent with the Arabic creative text. Starting from implicit linguistic patterns, and the subsequent discourses that refer to them, converging on horizons of suggestion and interpretation in the midst of a network of linguistic relationships, and in the presence of cultural frames of reference, helping to decode semantic codes and clarify interpretive circumstances.

Researchers have considered it one of the most prominent mechanisms in dealing with creative text, and in confronting what has been hidden from dealing with words that are sometimes attracted by logic, and sometimes by the sound of reason.

The research problem revolves around the extent of the effectiveness of the semiotic mechanism in interrogating the secrets of the text and the extent of its suitability in undermining the meanings and shades of meanings of implicit linguistic patterns.

Our research aims to give importance to the semiotic approach as an exemplary mechanism in demonstrating the ability to generate and enrich meaning, by instilling a developmental movement at the level of the linguistic system, and stimulating dimensions of reading extending over horizons interpretation.

Keywords

semiotic approach
implicit system
semantic production
semiotic
subversion of meaning

فهو نظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها، بما في ذلك الخطابات الأيقونة الثابتة، والأنظمة الإشارية والرمزية غير اللفظية، والتي تتمظهر في مظهرات عديدة، يفرضها السياق ويتفق عليها المجتمع.

وما يهمنا في هذه المسألة هو ما يتعلق بصنف السيموطيقا التطبيقية والسيمائية التطبيقية اتجاه نادى بها شارل موريس وهو من أتباع المدرسة الأمريكية، التي تهتم بتحليل الموضوعات، باعتبارها وسيلة من وسائل تحقيق التواصل بين الأفراد، وتحمل قصيدة في ذاتها، يساهم في إنتاجها أطراف معينة، تعد عناصر مهمة في العملية التواصلية، فهو حقل يتعلق بتفسير الإنتاج والتعامل مع الأنظمة اللسانية الحاملة للمعنى، إذ أن كل نظام دلالي يمتزج باللغة، وهذا ما أكده رولان بارت في كتابه مبادئ في علم الأدلة، إذ يرى أنه من الصعب تصور إمكان وجود مدلولات نظام ما من الأنظمة السيميولوجية خارج اللغة (بارت، مبادئ في علم الأدلة، 1986، 20-21-28)، وبهذا تعد اللغة نموذجاً للسيميولوجيا. إذ هي التي تمدنا بالمعاني والمدلولات، لأن المعرفة الدلالية (السيمائية)، لا يمكن أن تكون اليوم سوى نسخة من المعرفة الأصلية. (جيرو، 5)

وهذه الرؤية تجعل النسق اللساني من أهم الأنساق وأرقاها... والسيمياء لدى بيار جيرو هو ذاك المعلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات، واللغات، وهو ذاك المعلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات، واللغات، وأنظمة الإشارات، والتعليمات إلخ... وهذا التحديد يجعل اللغة جزءاً من السيمياء.

واللغة النوعية العليا هي اللغة الحاملة للسيرورة الدلالية للمحمولات النصية والتأويلات، وتعدد القراءات الملازمة لها، فهي من أهم الخصائص التي يركز عليها التحليل السيميائي في التعمق في جوانبها،

يندرج هذا البحث ضمن المقترحات النقدية والمعطيات الفكرية الوافدة إلينا، والتي يعج بها الخطاب النقدي العربي المعاصر، إذ نحاول الانجذاب إلى بعض الآليات القرائية في مقارنة تحليلية للنموذج العربي القديم، لنعاين من خلالها لوحات من المعنى وظلاله، بما يضمنه من حمولة دلالية، متشظية على آفاق تأويلية، تأبى الانصهار في حيز الانغلاق، وترفض الإحالة الأحادية ذات الأثر المحدود.

إنه إسقاط جديد يسعى إلى استيعاب تلك الأنساق المعرفية المحاطة بمناحي الحياة الإنسانية المصاغة في هذا المعطى النوعي، الذي يرتقي بقيمه وخصائصه إلى مستوى من التحولات تقتضي سميائية رمزية تحيل على خطابات بعيدة وتمتطي مسارات لغوية واصفة، تنزع إلى تعدد التأويل وتنوع المناويل.

ويعد الطرح السيميائي أو الية مناسبة، وإجراء فعال في رصد السيرورة الدلالية للأنساق السيميائية المشكلة لنسيج النص، بشكل يتيح ملامسة خفاياه، وبلوغ مستوى من الإدراك، والتحكم في مداخله، ومتابعة حركة الدوال لاستكناه الدلالية، ووصولاً إلى قيمة العلاقة وفاعليتها في النص، والنتائج عن علاقة التضام والاتساق الذي يوفرها السياق.

والمنهج السيميائي منطلق فكري، يتسع مجاله إلى إقامة حوار معرفي، وتحقيق صور من التواشح بين علوم مختلفة، ومعارف متنوعة. إنه العلم الذي يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية. (Saussure, 1962, 33)

ويرتبط موضوع السيمياء بوصف العلامة بصورة تحاith التبدال المفتوح اللامتناهي، إنها ضرب من المساءلة المستمرة لأنظمة الدلالة وتجلياتها المختلفة، "فهو تخصص يدرس كيفية إعطاء الناس معاني للأشياء". (بارت، المغامرة السيميولوجية، 37)

ونظام الدلالة بأسلوب يتيح فهما أفضلًا لوظيفة الرسالة داخل النسق الاتصالي. (يخلف، 2012، 76) وقد بينت جوليا كريستيفا Julia kristeva أهمية التحليل السيميائي الذي يعد مجموعة الثقافات والخطوات المتبعة للبحث في صنع استكمال حلقة الدلالة في نسق معين، وهو الأسلوب العلمي الذي يحلل وينقذ المعنى في نظام ما. (Krustiva, 1969, 22) اعتمادًا على إعادة بناء النسق الإتصالي من جديد وتحديد ثوابته البنيوية، وعلى هذا الأساس فهو يعتد ببعض القواعد الإجرائية، بمنهجية في تأسيس مقارنة ابستمولوجية يمتحن من خلالها الباحث السيميائي عوالم الحدث الرمزي، والتجليات الثقافية، والتمثيلات المعرفية داخل الخطاب النصي. ومن هذه الأوليات نذكر:

2.1. تحليل محايت Analyse immanence:

تسعى السيميائية من خلال هذا المبدأ إلى دراسة التجليات الدلالية من الداخل، مرتكزة في ذلك على قاعدة المحايثة immanence، التي تخضع فيه الدلالة لقوانين داخلية خاصة، مستقلة عن المعطيات الخارجية. إذ يركز الناقد في هذا المنحنى على الشروط الداخلية (بن مالك، 2000، 9) المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء المحيل الخارجي، فيصبح المعنى أثرًا ناتجًا عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العلامات اللغوية. (Meaux, 2001, 44)

وقد استخدم يلمسلف مصطلح المحايثة للدلالة على عزل الظاهرة موضوع الدراسة عن العالم الخارجي، والتعامل معها في ذاتها ومن أجل ذاتها، من حيث هي حقيقة واقعية تحمل مقومات وجودها في نظامها الداخلي. وكان هذا المبدأ أساس المنهج اللساني عند دي سوسير، أثناء حديثه عن استقلالية اللسانيات في موضوعها ومنهجها. (حساني، 2013، 75)

وفهم مغاليقها، بآليات تنطلق من مفهوم التدليل (signifiante) داخل الخطاب كي يخترق الدوال، والذات والمدلولات والنظام النحوي، لإدراك الدائرة التي تتجمع فيها بذور الخطاب ونوايات اللسان العميقة. (بوحوش، 2010، 84)

وبناء على ذلك سعت التحليلات السيميائية إلى محاولة تفويض المعاني الخفية، وكشف الحجب عن المسكوت عنه، في تعالقات نصية والخاضعة لتأثير العوامل السياقية، المنشئة للفعل التواصل في مختلف مظهراته، وبأنساقه المختلفة عبر مسارات لغوية اتخذت عدة أشكال خطابية.

2. التحليل السيميائي:

إن التحليل السيميائي تحليل منهجي، ورؤية لما بعد الحداثة، واستراتيجية معرفية ترتكز على مقومات معينة، تشتغل بفرضيات وتساؤلات محددة، في أفق تحصيل استنتاجات تلزم عن استدالات تحليلية محكمة ومتراتبة، نسائل من خلالها البنى القيمية، والرمزية الكامنة في ثنايا الخطابات الاتصالية. (يخلف، 2012، 67) ورصد المقولات الدلالية التي تؤسس لقضايا انفتاح النصوص، ورفض لطروحات الأنساق المغلقة ذات البعد الأحادي، ويقتفي أثر السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة أو التدلال (sémiosis)، واستظهار تحليلاته الوظيفية واستنطاق أبعاده المحايثة.

والتدلال هو الفعل المؤدي إلى إنتاج الدلالات وتداولها، إنه سيرورة تشتغل من خلالها العلامة (بن كراد، 2015، 22)، وهو ذلك الفعل الإنساني المحقق لسلسلة من القيم الدلالية التي تستند في وجودها إلى العرف الاجتماعي وتواضع الاستعمال. (بن كراد، 2015، 23) ويرتكز المنهج السيميائي على ميكانيزمات في استنطاق معاني النص الخبيثة، ويكشف عن العلاقات الداخلية لعناصر النسق اللغوي، ثم يعيد تشكيل

والنص علامة تركيبية قابلة للتجديد في الدلالة

مع كل قراءة جديدة، إذ يرتبط النص بمستويين من القراءة، فالمستوى الأول يتعلق باستيعاب شبكة منظومة الدوال، والدلالة الظاهرة التي تحملها، ثم الولوج بعد ذلك إلى المستوى العميق من الدلالة الباطنة التي نصل إليها بعد جهد من التدبر والاشتغال العقلي في إدراك المحتمل وتقريب وجوهه.

وقد ارتأينا أن نتناول شعر أبي الطيب المتنبي، من خلال نماذج شعرية قالها في مقامات متباينة، والمتأمل في شعر هذا الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس سيجد نفسه أمام زخم دلالي من الخطابات والمعاني العميقة التي تحتاج منا إلى جهد في أعمال العقل في طريقة صوغها، وتوجيهها في صور إبداع يسمو إلى حلية من الكلام شكلا ومضمونا، فيرتقي إلى مصاف الجودة والفحولة والتميز.

لقد تمتع المتنبي بموهبة شاعرية جعلته ينفرد عن بقية الأتراب في نظم الشعر، وحياسة جواهر معانيه، إذ اتسع لديه ليشمل مقاصد متنوعة تلامس مختلف مناحي الحياة الإنسانية، فكان له الفضل في إثراء المدونة الشعرية العربية بأرق القول وأعذبه.

ومما لا شك فيه أن التجارب التي عاينها الشاعر من مواقف وأحداث، كان لها الأثر الكبير في تحديد رؤية المتنبي للأشياء وفهم طبيعة النفس البشرية، كما كانت باعثا قويا على تجسيد هذا الأثر شعرا ترنم فيه بأغراض متنوعة يصوغ منها مادة تفكيره، فيستخرج منها درسا عصية على الفهم، وبعبارة عن المنال. يقول مخاطبا سيف الدولة: (المتنبي، 332)

يا أعدل الناس إلا في معاملي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
إذا استوت عنده الأنوار والظلم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره

2.2. Analyse structurale بنيوي

وهو ينطلق من رؤية تقول إن المعنى يكتسي وجوده بالاختلاف، إذ يركز وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص، على مبدأ الاختلاف (différence) الذي أرسى قواعده فرديناند دي سوسير، واستعمله للدلالة على أن المفاهيم المتباينة تكون معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها، وإنما بشكل سلبي من علاقاتها مع العناصر الأخرى للنظام. (بن مالك، 2000، 10)

ومن هذا المفهوم فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يقتضي وجود نظام مبني structuré من العلاقات وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلامات القائمة بينها، ولذا فإن الاهتمام بالعناصر لا يكون إلا من منطلق دخولها في نظام الاختلاف.

فالسيميائية (Bateson, 2004, 34) بوصفها وحدة دلالية قاعدية لا يتحقق وجودها إلا في علاقاتها بعنصر آخر، وإن كانت وظيفتها خلافية بالدرجة الأولى. (Bateson, 2004, 34)

2.3. Analyse de discours تحليل الخطاب

إن معنى التحليل السيميائي الأول هو مسألة الخطاب في شتى تجلياته الأمر الذي أفرز قطبين يجذبان الاهتمام الإجرائي للنظرية السيميائية (بن مالك، 2000، 11) الأول يجسد النص، فيما يمثل الثاني السياق، وهكذا جاءت الإجراءات التحليلية السيميائية للجمع بين القطبين، ومن ثمة وصل النص بالسياق لتحصيل التفاعلات المنتجة للخطاب ضمن المحيط الاجتماعي والثقافي.

إن القراءة السيميائية للنص مرتبطة بشكل كبير بالقارئ الذي سيوكل إليه مواجهة إشكالات النص وتقليب مقاصده (سعد الله، 80) وصولا إلى ما ورائيات الأشياء وكشف الظلال الإيحائية التي يبثها النص.

إذا استوت عنده الأنوار والظلم
أنا الذي نظرا لأعنى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من بهصم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم
3. تشاكال التعبير:

تضم القصيدة عدة تشاكلات على مستوى
التعبير، كتلك الحاصلة على المستوى الصوتي، ويقع
محور الاختيار على صوت الميم الذي أسند إليه الشاعر
مهام تفجير مكنوناته، ويكاد يمتد حضور الميم في كل
أبيات القصيدة.
وللصوت قيمته التعبيرية التي تساهم في بلورة
معنى الشعر وتشكيل دلالاته.
وقد تكرر صوت الميم والنون أكثر من غيره في
نسيج القصيدة، ويأتي ذلك تناغما وانسجاما مع موقف
الشاعر من شعره، ليشكل بذلك ما أسماه الباحثون
بالتراكم الصوتي الذي يتردد في أكثر من موضع. (زدام،
2013)

ويحضر صوت الميم بغزارة في البيت الأول
(معاملتي، الخصام، الخصم، الحكم) وفي البيت الثالث
(سيعلم، الجميع، ممن ضم، مجلسنا، من، قدم) وفي
البيت الرابع (الأعنى، أسمعت، كلماتي، من، قدم) وهو
كذلك حرف روى القصيدة.

كما يتكرر حرف النون لمرات في كل أبيات
القصيدة. وتعد هذه الأصوات من صنف الحروف التي
هي بين الشدة والرخاوة، لأنها تصاحبها غنة أثناء النطق
بها. (حركات، 46) كما تتصف بصفة الانفجار والمترجمة
للحالة النفسية للشاعر، وهو الثائر الغاضب الرافض
لموقف أجبره الأعداء على مكابדתه، وكأن حال الشاعر
والتداعي النفسي الذي يداخله هو من يبعثه على
استدعاء هذه الفونيمات، وما تملكه من صفات تخدم
الأثر الإبداعي، وتوجه مدارك المستمع وتؤثر في

أحاسيسه، بما تقرع به المسامع من خبرة موسيقية
خاصة ومنسجمة مع المشاعر الداخلية للمبدع. لأن
للصوت علاقة وطيدة بالدلالة العامة للنص (زدام،
2013، 224-225) وتكرار الصوت يمنح نغما ذا بعد
دلالي ورمزية صوتية تحقق ذاك التطابق بين الصوت
والمعنى. (زدام، 2013، 5)

فالأصوات هي الواجهة الأولى التي تصادف قارئ
النص، فإذا نظرنا إلى الحركة الفيزيائية لأعضاء جهاز
النطق في إحداث صوت الميم، نجد أن الهواء ينحبس
داخل الفم. نتيجة إطباق الشفتين فتستشعر مع هذه
الحركة إحساسا بالقيد ورغبة في التحرر، ثم يحدث
انفراج بخروج الهواء متدفقا وهو يصاحبه غنة فهذا
هو حال هذه الكتلة الهوائية لما تشكل صوت الميم.
وهو الحال نفسه بالنسبة للشاعر، الذي يعيش
ضغطا، وثقلا من الهموم لم يعد قادرا على تحمله،
فيريد أن ينفك من أسرته، وهو يبحث عن أي سبيل
ومخرج ينفذ من خلاله إلى الراحة والهدوء والاستقرار.
وها هو المد يأتي بعونه ليشكل مخرجا من
التنفيس للشاعر، بما يتصف به من خاصية الاستطالة
التي توحى بأمل الشاعر، ورغبته في نيل الصفح والعفو
من الحاكم، كما هو بين في كثير من مونيومات أبيات
القصيدة. فلصفات الصوت الأثر العجيب في قوة الكلام
ودلالته.

وله ارتباط وثيق بين الحالة الشعرية للشاعر التي
تبعثه على تخير نوعية أصوات المنظومة العربية بشكل
يتفق وما يختلج في أفانيه للتعبير عما يتموج في
أعماقه، وما تتجاذبه من أفكار وآلام وآمال ودلالة المد
(مداس، 26-27) وجه أخر للتوتر، الذي بداخله
إشراقة من الأمل والتفاؤل الذي يدلي بها حرف العين
ليدل على مروءة الأمير، وهذه شيم الأفاضل.
ومن جهة أخرى فهي تحيل على المنزلة العالية
للشاعر الذي أراد من يستشعر النقص في ذاته وينال

منه. ولكن الشاعر على ثقة كبيرة بنفسه لأنه قادر على قضاء حقه من أعدائه وأنه سيرفع من قدره.

3.1. تشاكال على مستوى المعنى:

تعد قصدية النص، قطب العملية التواصلية بين الباحث والمتلقي، ولهذا يحرص الشاعر على تخريجها في أحسن صورة، وأفضل تركيب، إذ يركز على توظيف بعض المقومات السياقية المترادفة، أو التي تتقارب في دلالتها، لتتم الواحدة منها معنى الأخرى، وفي هذا المعنى يقول رولان بارث: "إن الشيء دليل تحدده إحدائتان، إحدائية عميقة أو رمزية، وإحدائية سطحية أو تصنيفية". (بارث، المغامرة السيميولوجية، 1993، 43)

وفي قوله (سيعلم، تسعى، مجلس، نظر، أسمع)، تشكل مقومات تقوم على مبدأ التشاكال (مرتاض، 45) الذي ينهض على محور الإخبار، الذي يمتد على مدى بعيد، ليبلغ الآفاق التي لم تطرق بعد، فتسمع الأصم، وتجعل الأعى ينظر، وهي مبالغة أفادت تأكيد المعنى وإثباته.

فالمقوم سيعلم المقترن بحرف السين الدال على وقوع قريب، فيحصل العلم بشيء نهله قبلًا، وأننا سنكون على بينة من أمره، وعارفين بظروفه وأحواله، ويعزز المعنى مقوم "تسعى، وما يحمله من دلالة السرعة والتهافت، والبحث في تفاصيل الحدث، والمعرفة بدقائقه والسعي مقرون بالمجلس الذي تختلف إليه الأشخاص لتتجاذب أطراف الحديث وتتقصى الطارق والواقع من هنا وهناك، وكل هذه المقومات تخدم فضاء التوسع، والانتشار، والسرعة تجعل الحدث منتشرًا بين الناس، وتزيد من تنقله وامتداده، فهي تكمل خاصية التفشي والانتشار.

والمقوم نظريجسد حركة جسميه قريبة من المشهد، وهو مقوم يتمم الدلالات السابقة، التي سيقى كلها لخدمة الغرض.

"أسمعت" مقوم آخر يحقق تأكيد وقوع الفعل وامتداده وتعزيز حقيقته، وهو القائم على محور الانتشار والامتداد. وفي مقابل التشاكال، نلمح تباينًا في مقومين اثنين "الخصم والحكم" ويحملان دلالة سيميائية، كون الذات الواحدة تجسد حالتين متناقضتين بالنسبة للشاعر، وهذا وضع لا يخدم الشاعر فيزيده تأزما وضيقا وربما بأسا مما يرومه ويناشده من الأمير، ويجسد هذا التباين فضاء من الانغلاق والانحصار، الذي يعبر عن حال متناقضين (الضعف والقوة)، وموقف لا تدرك عواقبه.

كما نفع على تباين آخر بين المقوم (وأنام ويسهر) فهما يعكسا دلالتين متناقضتين عن الأنا والآخر باعته راحة، ونتاجه هدوء وطمأنينة، والسهر باعته قلق وحزن ونتاجه توتر وسهاد دائم.

ومن خلال هذا التحليل يتبين أن البنية الصوتية الحاملة للوحدات الدلالية، تعكس لنا بصدق البنية النفسية للشاعر الذي يتقلب بين اليأس والرجاء. ويتموج بين أحوال لا يكاد يستقر فيها على حال، ويزيد حجم التوتر لما يكون الأمل في العفو من شخص في مقام يكون فيه هو الخصم وهو الحكم.

4. الدلالة المباشرة ودلالة الإيحاء:

إن لغة الابداع هي لغة نوعية، ولغة ثانية، ولغة المحتمل كما دعته جوليا كريستيفا، لغة لا تعلن نفسها بقدر ما تعلن عن بداية اشتغالها. (كريستيفا، 43) وهنا يكون نظام الدال، هو نظام مبطن وإيحائي Connotatif أو نظام المحتمل، حيث تتعدد فيه مستوى إنتاج الدلالة الأدبية، وهو ما يعده بارث اشتغالا في مستويات متعددة من التعبير، ويكون الخطاب في حركته الالتفاتية تلك، بعثا متكررا وفق ما أسماه بنفيسست بالسيميائية التضمينية. (بارث، هسهسة اللغة، 167-168) بحيث تتحول العلامات في مستواها

وهكذا تنطلق عملية التحليل السيميائي للعلامة في تشكل نواة العمل الإبداعي ومركزه، والتي تتموضع في علاقات تركيبية مع علامات أخرى توحى بمدلولات جديدة في إطار علاقات تفاعلية تشكل بصمة صائغة تتلف المعنى. (سعد الله، 94)

فظاهر الأبيات مديح تداخله مشاعر موجعة من العقاب، وباطنها هجاء شديد، استطاع الشاعر بذلكه وتفظنه التلاعب بآليات اللغة ويدير خطابات في محمول تركيبي واحد تتحقق وفقها أنظمة سيميائية يخرق بها الشاعر تلك المبادئ التقريرية أحادية الرؤية، بحيث يرتقي الخطاب من مستوى التقرير، وهو المفهوم الظاهر من الرسالة اللغوية، انتظار الصفح وأن يتجاوز عنه، وهذه من صفات الأفاضل الكرام، وإيهام الآخر أنه يعيش على أمل هو من يأذن به ولا غير سواه، ولا يحصل إلا برضاه، إلا أن ما لا يخضع للمباشرة هي مقولات غائبة تتوارى خلف سطور الخطاب، تحتاج منا إلى إعادة القراءة بتبصر ننفذ عبرها إلى أسرار ما ورائية اللغة Meta-language وما تكتنزه من إحياءات مطللة على معان لا تتوقعها في هذا الظرف المتأزم، وهي جرئية ومتعالية وبخاصة إذا كانت عن الأنا، التي تعود لشخص المتنبي. وتشكل هذه الإحياءات خطابا مركبا يولد من تشكل نظامي، نظام دلالي على صعيد العبارة (ع) وصعيد المحتوى (ض) وأن العلاقة (ق) الرابطة بين الصعيدين (ع ق ض)، حيث يصبح النظام (ع ق ض) مجرد عنصر في نظام ثان ليصبح توسعا، وامتدادا له، وصعيدا تعبيريا، ودالا للنظام الثاني. (بارث، 1986، 135)

ويسمى بالمسليف النظام الأول، الدلائلية الإيحائية، وهو يشكل أيضا مستوى التقرير dénotation، ويشكل النظام الثاني توسعا للأول، وهو مستوى الإحياء Connoté (بارث، 1986، 135)، وهذه الأنظمة من نتاج اللغة العليا، اللغة التي

الأول دولا تحليل بدورها على مدلولات منفتحة هي الأخرى، وكثيرة وغير محدودة.

والمديح في شعر المتنبي يشكل خطابا متعاليا، يرفع فيه صاحبه إلى مستوى من التلاعب المفضي إلى تشعب الفكر والغموض، فيجعل القارئ في حيرة يتعذر معها تقويض دلالة الشعر والوقوف على الغرض الأساس من وراء ما ينشره من معاني وظلالها.

إن قوة الشاعر التي يتمتع بها المتنبي، مكنته من السيطرة على نفوس الآخرين، والتحكم في سلوكياتهم، كما يظهر ذلك في عتابه لسيف الدولة، حيث لا نستطيع أن نستبين نوايا المتنبي الذي لا يبدو طيبا قدر الكفاية في هذا الموضع، لحد إننا لا نستطيع البث في غرض قصيدة الشاعر، أي عتاب أم هجر؟ كما نقف على كثير من الخطابات البعدية التي ظاهرها شيء، وباطنها دلالات ورموز، لا نقف عند أطرافها إلا من خلال استقراءنا لظروف القول وملابساته، ومعرفتنا القريبة بشخص الشاعر وسيرته التي كونتها تجارب عديدة أسست لديه قناعة بعظم مكانته وقيمة منزلته بين عشيرته وأترابه من الشعراء، وهو على يقين تام بأنه يملك مقاليد أمور يفتقر إليها الآخرون ويستطيع ما لا يستطيعه غيره، وهذا هو علو "الأنا" المتمردة والمنفردة بأحاسيسها والتميزة بجدة أقوالها وطرافتها.

فهو في قوله متوجها ومخاطبا الأمير:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي***

فيك الخصام وأنت الخوطمكم

ظاهر الكلام خطاب مباشر ذو أنساق عالية، باعتبارها ممثلات représentâmes، ترتبط بموضوعاتها، وهي تحليل على مؤولاتها Interprétant لتصبح العلامة علامة ثلاثية (ممثل، موضوع، مؤول). (دولودال، 2000، 135-136)

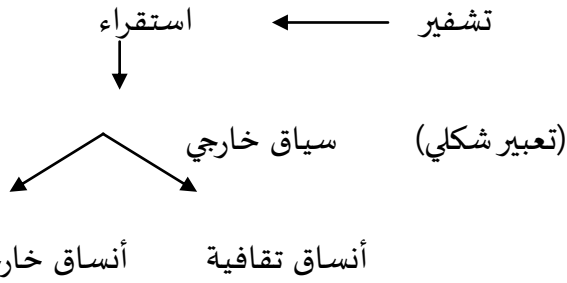
يتلاعب فيها المبدع بآلياتها ورمزيتها محققا حالة من التمفصلات المعقدة بين الأنظمة اللغوية حيث يصبح مدلول الدال دالا ثانيا على مدلول آخر، بكيفية مزدوجة يشرحها بارث في الترسيمة الآتية:

دا	م	دا	م
م	دا/م	دا	م

وهذا النظام الدلالي للغة يسمح لها بتبني أنظمة المعاني الثانية، انطلاقا من النظام الأول التي تقدمه اللغة.

إن الخطاب الظاهر يجعل من الأمير يبلغ المدى في العدل بين الناس، كما هو في الشطر الأول من البيت، ولما جاء الاستثناء، حرم المتنبي من هذا العدل، وكيف تستقيم نزاهة ومروءة الأمير، دون أن يعمم عدله على الجميع. وتوظيف هذا الاستخدام ينفي صفة العدل عن الأمير، ويجر المساق هذا المعنى، صفات أخرى نقيضا، وهي الظلم والتفرقة ... وهي كلها جاءت لتعارض دلالة مقومات صدر البيت الأول، وتثبت الحقيقة التي أراد أن يصل إليها المتنبي، وقد حصل له ذلك بمهارته، وعبقريته وتمكنه من زمام اللغة، وكيف لا وهو ساقه الشعراء وصاحب الفضل والمزية. وهذا الذي يستحقه الأمير في الواقع، لأنه من وضع الشاعر في موقف عصيب، يكون فيه القاضي هو المشتكى منه، فإلى من يلجأ في مثل هذه الأحوال، لما يأتي الظلم تباعا ومتلاحقا. لم يبق هناك سوى سلاح الهجوم والعقاب، ولكن بحذر، في تخير الألفاظ وترقب في إحكام نسجها، حتى لا يتفطن الآخر إلى الحقيقة من وراء هذا المدح، الذي صار غطاء يستتر خلفه عتاب موجه يلقي في وجه سيف الدولة

بدهاء سها ما جارحة، لو تفتن لها الأمير فهو الظالم والغبي، والأحمق الذي لا يتبين حقائق الأمور، ولا يميز بين الصدق والكذب والنور والظلام، ولا يدرك ما يفصل الحق عن الباطل. وبين المحب والخائن، وهذه مؤولات تعذر على الأمير استساغتها، وفهم ما وراءها، وهو ما أراد المتنبي قوله، إنه لعب معقد، ومجال خاص بالمبدعين، إنه مجال التشفير L'encodage، الذي يتطلب من أجل قراءة العلامة والتمييز بين علامة وأخرى، إدراكات دقيقة، لما يصحب عادة هذه المظاهر، ومعرفة شروط نسق العلامات (دولودال، 2000، 139)، بالرجوع إلى السياق الخارجي الذي يركز على مبدأ الاستقرار والقراءة في أنساق ثقافية وتاريخية لها علاقة بعناصر العملية التواصلية.



فالأنساق اللغوية المشفرة، تشكل كنه السيرة للدلالة المستندة إلى علامات وخطاطات معرفية، تضيف على النص إبداعات إضافية وأولية. إن طبيعة النفس الإنسانية تواقة دائما إلى استكشاف الجديد، وقراءة أفكار الخبيء الذي تحكيه الألفاظ نفسها التي ظلت وبقيت آلية في يد كل شاعر يحكي بها الأحداث ومختلف المواقف والأفكار والمشاعر.

5. خاتمة:

تستدعي النظرية السيميائية في مقارباتها المختلفة للنصوص، عدة آليات ناتجة عن جملة من المفاهيم، التي تعد نتاج تطور تلك الأدوات الإجرائية والمفاهيم المعرفية التي تجانب التراث العربي، في جميع مجالات علومه، ولهذه الأسباب نرى أن التصور

3. بيار جيرو. (بلا تاريخ). السيميائية، ترجمة : أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات للمطبوعات الجامعية الفرنسية، بيروت، باريس، (الإصدار 1984).
 4. جوليا كريستيفا. (بلا تاريخ). علم النص (الإصدار 1991). (فريد الزاهي، المترجمون) توبقال للنشر.
 5. جيرار دولودال. (2000). السيميائيات أو نظرية العلامات. (عبد الرحمان بوعي، المترجمون) اللاذقية، سوريا: الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.
 6. حميدة زدام. (2013). الظواهر السيميائية في النص الادبي العباسي العباسي، رسالة دكتوراه. تلمسان، جامعة تلمسان، الجزائر.
 7. رابح بوحوش. (2010). المناهج النقدية، دار العلوم للنشر والتوزيع، (الإصدار دون). الجزائر.
 8. رشيد بن مالك. (2000). مقدمة في السيميائية السردية (الإصدار دون). حيدرة، الجزائر: القصبة للنشر.
 9. رولان بارث. (1986). مبادئ في علم الأدلة (الإصدار دون). (محمد البكري، المترجمون) الدار البيضاء- مراكش: قرطبة للطباعة والنشر.
 10. رولان بارث. (بلا تاريخ). المغامرة السيميولوجية (الإصدار 1993). (عبد الرحيم خرك، المترجمون) مراكش، المغرب: تينمل للطباعة والنشر.
 11. رولان بارث. (بلا تاريخ). هسهسة اللغة (الإصدار 1999). (منذر عياشي، المترجمون) حلب: مركز الإنماء الحضاري.
- السيميائي هو أقرب المناهج النقدية لملاءمة للنص الأدبي العربي.
- كما ساهمت السيميائية بإنجازاتها في تجديد الوعي النقدي، من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى، وتناول المنتج الإنساني من زوايا نظر جديدة وبخاصة إذا أصبح النص إشكالية حاملة لأسرار كثيرة، تستفز القارئ في كل فترة، انطلاقاً من فهم جديد للعلاقات الجدلية بين العلامات اللسانية، التي تدفع بالنص إلى عالم متشظ على ملامح سيميائية، وما تتطلبه من آليات مستحدثة لقراءة تتضاعف معها المعاني، وتجعل منها إبداعاً ثانياً يضاف للإبداع الأصل، ومن هنا تفعل السيميائية دور القارئ في فك شفرات الأنساق الدلالية، ومعرفة القوانين التي تتحكم بها، متجاوزة دائرة البنية، ومتخطية حدودها الداخلية، إلى آفاق ما وراء النص، من أطر ومرجعيات ثقافية وخطاطات رسمتها مؤثرات خارجية لتدفع بالنص على قراءات ترفض التعامل مع الدلالة الجاهزة النهائية، في رحلة من الاستكشاف الجديدة، في أغوار النص وأعماقه عبر مسار من التشاكلات على مستوى أصغر وحدة لغوية، وصولاً إلى مستوى الإيحاء والترميز، مع الجمل والتراكيب متنبئة بفتح أبواب من التأويل، وجلب العناصر الغائبة في تحليل تعددي، مقتفية أثر السيرورة الدلالية المنتمية إلى ما وراء الشكل اللفظ للأشياء، والحضور المادي للمرجعيات.
- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:
1. أحمد حساني. (2013). مباحث في اللسانيات (الإصدار 2). دبي، الإمارات.
 2. أحمد مداس. (بلا تاريخ). لسانيات النص (الإصدار ط 2007). أربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

12. سعيد بن كراد. (2015). السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (الإصدار 1). الرباط: منشورات الاختلاف، دار الأمان.
13. عبد المالك مرتاض. (بلا تاريخ). التحليل السيميائي للخطاب الشعري (الإصدار 1). القبة، الجزائر: الكتاب العربي.
14. فايزة يخلف. (2012). منهاج التحليل السيميائي (الإصدار دون). القبة، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
15. المتني. (بلا تاريخ). ديوانه، تحقيق وشرح : كرم البستاني (الإصدار دون). بيروت: دار صادر.
16. محمد سالم سعد الله. (بلا تاريخ). مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، (الإصدار 2007). أريد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
17. مصطفى حركات. (بلا تاريخ). الصوتيات والفنولوجيا (الإصدار دون). الأبيار، الجزائر: دار الآفاق.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

18. Baniel Meaux. (2001). Analyse sémiologique Edition Gallimard. Paris.
19. Bateson, G. (2004). sémiologie et analyse du discours, Paris édition lounord, Paris, 2004, p: 34 (éd. lounord). Paris.
20. Krustiva, J. (1969). recherche pour une sémiologie, Paris, édition, sewil, 1969 (éd. 1). Paris: Sewil.
21. Saussure, F. (1962). Cours du linguistique générale . Paris.